النحات

قصة قصيرة

للكاتبة

شاهيناز المدني

تدقيق
أسامة الغنام

تصميم الغلاف
شيماء محمد

تنسيق داخلي
أمينة مرعي

تحت إشراف
مريم أشرف

برعاية كيان معًا للقمة

سِهَامْ نورُ الدينْ، تلكَ الفتاةُ الأجملُ في كليةِ الفنون الجميلة جامعة القاهرة، في الفِرقةِ الرابعة، تمتلك عينين خضراوين ساحرتين، وبشرةٍ خُمريةٍ ناعمةٍ كالأطفال، وشعرٍ أسودٍ جميلٍ ينسدلُ بنعومةٍ علي كتفها، وضحكةٍ تُسْحِرُكَ وتؤثِرُ قلبَكَ لها، أيَ كانَ جِنسُك أو سِنُكَ، فهي مرحةٌ وبشوشة إلى أبعدِ الحدود، تشعُ بالتفاؤلِ والإقبالِ على الحياة، عندما تراها لا تستطيعَ سوى أن تحبها، مؤدبةٌ متفوقةٌ فهي دائما من أوائل الدفعة، جسدُها رشيقٌ ومتناسقٌ تصلحُ أن تُصبِحَ مانِيكَان.

ولكنها في ذات الوقت منطويةٌ على نفسها، لا تملك أيَّةَ أصدقاءَ نهائيا، لديها فقط بعض زملاءَ الدراسة، وما تجمع بينهم إلا الإمتحانات الجماعية، التي ولولاها لأصبحت وحيدة كليًا؛ فهي مُحاطةٌ بالغموض لا يعلمُ أحدٌ عنها شيئًا سوى اسمها فقط ، لا رقمُ هاتف، ولاعنوان، ولا وظيفة والدها أو والدتها، أو هل هما على قيد الحياة أم فارقاها، غموضٌ مائلٌ إلى الغرابة! ولا شيءَ سوى الغموضِ؛ مما جعلَ الجميعُ يخشونَ التعاملَ معها؛ فطبيعة البشر إجتماعية، يحبون أن يعلموا حتى الحد الأدنى من المعلومات عَمَّنْ يتعاملون معهم، أما في حالةِ سهام فهي مجرد شبح

اجتمعَ بعضُ الأصدقاءِ يضحكونَ ويتسامرونَ مع بعضِهِمُ البعضَ، فرأوا سهام آتية من بعيد، تقتربُ منهم وعلى وجهها أجمل ابتسامة من الممكن أن تراها عينيك.

سهام بصوت يشعُ تفاؤلًا: صباحُ الخير كيفَ حالكُم

رد الجميع: صباح الخير سهام كيف حالك

سهام: بخيرٍ والحمدُ للهِ، كيف كانت عطلةٌ منتصفِ العامِ؟ وماذا فعلتم بها؟

غمزَتْ عَزَةٌ بعينيها للجميعِ وأجابت بمكرٍ تقول: كيفَ كانت إجازتكِ يا سهام؟ قُصِي لنا عنها؟

فأجابت سهام: لا شيء مهم.

فضحك الجميع؛ فهذا حال سهام لا تروي أي شيءٍ يخصها.

فأضافت عَزَةٌ قائلة: دائما تقولين أن ليس هناك شيءٌ مهم؛ إذًا لماذا تعيشين؟.

شعرت سهام بالإحراج الشديد وأحمرت وجنتيها وتعرقَ جبينها.

فحَاولَ مُحَمَدٌ تلطيفَ الأجواءِ بينهما؛ فهم لا يريدون أن يخسروها، فلم يتبقَ إلا فصلٌ دراسيٍ واحدٌ فقط، فلينتهِ هذا العامُ على خير.

فأردف ضاحكًا: لقد فرض علينا والدي رحلة تاريخية إلى الأقصر وأسوان رغما عنا جميعًا، وكان يأخذنا إلى جميع المعابد والمزارات ويسألنا بعد العودة إلى الفندق وكأننا في امتحان وكان لا ينقصنا إلا أن يُخرِج لنا عَصًا يضربُنا بها إذا لم نجب إجابة صحيحة.

وضَحِك! فضَحِك الجميعُ معه وبدأوا في الحديث عن كيفية قضاء كلٍ منهم إجازته.

بعد قليل استأذنت سهام وتركتهم، ثم ذهبت إلى الكافيتريا لتحتسِ فنجان من القهوة.

جلست على إحدى المقاعد ترتدي نظارتها السوداء وتنظر حولها إلى وجوه الطلاب وضَحِكاتهم وأحاديثهم مع بَعضِهِمُ البعضَ، وكيف أنهم جميعًا أصدقاء يخرجون مع بعضهم البعض ويسافرون ويحتفلون ويتبادلون الأسرار وهي وحيدةٌ ليس لديها أحد، لا الآن ولا في أي وقت، شَعُرَت بغصةٍ في حَلقِها، وبالدموع تتجمع في مقلتيها، فتقاتلها حتى لا تنزل على وجنتيها ويراها الجميع، حاولت أن تُلهِ نفسها بالتنقل السريع بين الوجوه التي حولها، وفجأة وقعت عينيها على هذا الشاب الوسيم ذو الجسمِ الرياضيِ و العيونِ العسليةِ، (جمال فتح الله) الذي انتقل إلى جامعتهم في بداية هذا العام منقولاً من كلية الفنون الجميلة جامعة المنصورة، شابٌ هادئٌ و منطويٌ قليلاً على نفسه.

لم يعقد صدقات، كان يجلس وحيدًا مثلها أغلب الوقت.

كانت سهام دائما ترمقه بنظرها من وراء نظارتها وهو لا يشعر بها ولا يراها، كانت تشفق عليه أحيانا في الإختبارات العملية؛ فهو ليس ماهرًا على الإطلاق في النحت، ولا تعلم كيف نجح وأتى إلى هذا القسم؛ فأعماله رديئةً جدا، وسوف يرسب إذا دخل الإختبارات وحيدًا أو مع مجموعة ضعيفة.

لابد أن يكون مع مجموعة قوية حتى ترفعه معها؛ لكن لا أحد يرغب في انضمامهِ إليهم؛ لأنه بالفعل فاشل في هذا المجال.

فقررت أن تساعده وتضمه إلى مجموعتها فهم لن يعترضوا لأنهم في حاجة إليها، وسوف تشترط وجوده وإذا رفضوا ستغادرهم، ولكن لا تعلم كيف تبدأ معه الحديث، فقد تلاقوا مرات قليلة والحديث بينهم كان أقل، فكيف تذهبُ إليهِ وتعرض عليه الانضمام إليهم؟.

وبينما هي حائرة وشاردة تفكر في كيف تتحدث إليه وجدته أمامها فجأة بابتسامة جميلة

جمال: صباح الخير أنسة سهام

سهام: صباح الخير جمال كيف حالك.

جمال: هل أستطيع الجلوس؟

سهام: بالطبع تفضل

جمال: شكرا لكِ كيف كانت إجازتك؟

سهام: بخير لم يحدث بها شيءٌ مهم، وأنت ماذا عنك؟

جمال: وأنا أيضًا لم أفعل شيئا مهما فأنا جديدٌ هنا ولا أعلمُ الكثيرَ عن المكان.

سهام: هل وجدتَ مجموعة تنضم إليها؟

جمال بتلعثم: وكأنكِ تقرأين أفكاري، فلقد أردت محادثتك بخصوص هذا الشأن، هل تقبلون بي معكم؟

ردت مسرعةً وبدون تفكيرٍ في الأمر: بالطبع نقبل بك معنا.

اندهش جمال من سرعة ردها، بينما شعرت هي بغبائها وتسرعها، ولقد لاحظ جمال ارتباكها ولكنه أردف يقول: هذا شرفٌ لي أن أنضم في مجموعتك، كنتُ خائفًا ألا توافقين على هذا.

ابتلعت ريقها وتمهلت في الرد حتى تجد الرد المناسب

سهام: من عاداتي ألا أرفض أحدًا قد لجأ إليَّ

جمال: وهل من الممكن أن يعترض باقي أصدقائك؟

أشاحت سهام بيدها في لامبالاة ثم أردفت: لا، لا يُقلِقُكَ هذا الأمرُ،

وغمزت بعينها وأكملت

هم لا يرفضون لي طلبا؛ فهم يعتمدون عليَّ كليا.

ابتسم جمال: إذًا أضمنُ أنني معكم؟!

هبت سهام واقفة فجأة ثم قالت: تعال معي

وذهبوا يبحثون عن أصدقائها فوجدتهم حيث تركتهم يتحدثون و يضحكونسهام: جمال معانا في المجموعة.

ساد الصمت ونظر الجميع إلى بعضهم البعض في أعينهم علامات عدم موافقة، يمطون شفاههم في انتظار أن يبدأ أحدهم بالكلام، فاقتطعت سهام هذا الوضع قائلةً بحزمٍ شديد: أعلم أن معظمكم لا يوافق؛ لأنكم قد تعودتم على العمل سويا وبمفردنا، ولكن جمال لا يجد مجموعة ينضم إليها وأنا لن اتركه يضيع.

وأكملت بلهجةِ تهديدٍ: وإذا لم توافقوا عليه؛ فأنا وهو سوف نجد فريقا جديدا يتمنى أن ننضم إليه.

صمت الجميع بعد هذا التهديد الصريح

نظرت إلى أعينهم فردا فردا ثم ابتسمت وقالت: حسنا لقد اتفقنا.

ثم التفتت إلى جمال وأكملت: مرحبا بك في فريقنا يا جمال

.....

مر هذا الفصلُ الدراسيُ سريعًا واقتربت فترة الامتحانات، وكان الجميع على أعصابهم؛ فلابد أن ينجزوا مشروع التخرج، فكانوا يجلسون بالساعات لا ينامون تقريبا حتى ينهونه قبل الموعد المحدد.

عزة: أشعر بالإرهاق هيا بنا نأخذ قسطًا من الراحة.

أومأ الجميعُ برؤوسهم بالموافقة

محمد: حقا بالفعل نحن بحاجة إلى قليل من الراحة وشرب دلواً من القهوة.

ارتمى بعضا منهم على الأرضِ في إنهاكٍ واضحٍ وتعبٍ شديد.

أخذوا يرشفون القهوة وعلها تفيق عقولهم، وتفتح أعينهم ولو قليلا حتى يُكملوا عملهم

كان الكلُ يُغَالِبُ نعاسه ويقاوم الانهيار، وفي وسط هذا الإرهاق الشديد تكلم جمال فجأة وبمنتهى الحماسة التي لا تتناسب مع حالهم إطلاقا فقال: هل سمعتم عن مسابقة النحت التي ستقام بعد الامتحانات بشهر؟

وانتظر أن يتلقَ أي ردة فعلٍ منهم فنظر في أعينهم المتساقط أجفانها من شدة الإرهاق

فردت سهام: أي مسابقة؟

فأجاب بنفس الحماس

جمال: هناك مسابقة عن أجمل تمثال سوف تقام في أول أغسطس، وهناك جائزة مالية ضخمة أيضا فهي مسابقة على مستوى العالم وليس مصر فقط.

عزة تقولُ بوهنٍ: وما شأننا بمثل هذه المسابقة؟

نظر إليها جمال بتعجب: ماذا تقولين! نحن نحاتون! أُفكرُ في التقديمِ في هذه المسابقة.

نظر الجميع إلى بعضهم البعض وانفجروا من الضحك بصوت عالٍ وقهقهة، وهرب النوم من أعينهم، وأخذت الدموع تتساقط من أعينهم من كثرة الضحك.

عزة: مفعولك أقوى من القهوة لقد أعدت لنا حيويتنا.

جمال مستنكرا: لماذا تضحكون!

محمد وهو لا يستطيع أن يتوقف عن الضحك: أنت؟! أنت يا جمال؟! دونًا عن جميع طلاب الفنون الجميلة أنت من ترغب في التقديم؟

جمال بعصبية: وماذا في هذا؟ حقا لا أفهم سببا لضحكاتكم!.

عزة: أحقا لا تعلم يا جمال؟

وأكملت ضحكاتها باستهزاءٍ.

فرد جمال وقد بدأ صبره ينفذ: حقا؟ ما المضْحِكُ في ما قلت؟

محمد محاولًا السيطرة علي ضحكاته: لقد انضممتَ إلينا؛ لأنك تعلمُ أنك بدوننا راسب؛ فأنت فاشل في النحت، إنني حتى لا أعلم كيف صمدت كل تلك السنوات ولم ترسب.

لم يتحمل جمال أكثر من ذلك فصرخ فيهم: سوف أُقَدِّم، وسوف أحصل على الجائزة الأولى رغمًا عن أنف الجميع. حاولت سهام تهدئتهُ لكنه لم يمنحها الفرصة، وتركهم وخرج فانفجروا ثانيا في الضحك فصرخت فيهم سهام:

لماذا؟ لماذا كل هذه القسوة؟ وهذه السخرية؟ ثم تركتهم وغادرت كي تلحق بجمال.

.....

كانت سهام تسيرُ خارجَ أبوابِ الجامعة، ابتعدت عدة خطوات ثم نظرت إلى الخلف وتعلقت أنظارها ببواباتها فهذه المرة الأخيرة لها فيها كطالبة.

اليوم هو أخر امتحانٍ وسوف تخرج لمواجهة الحياة في مجال آخر بمفردها،

أخذت تسير والحزن يحتل ملامحها

وإذ فجأة ظهر جمال أمامها فتقدم نحوها مناديا إياها

جمال: سهام انتظري لحظة من فضلك

سهام: كيف حالك يا جمال وكيف كان الاختبار

جمال: بخير حال كنت أريد أن أتحدث معكِ قليلا، فاليوم هو آخر يوم لنا في هذه الكلية، واحتمال ألا أقابلك بعدها، فهل تسمحين لي باحتساءِ فنجانٍ من القهوة معكِ؟

حاولت أن تعترض فقاطعها

جمال: أرجوكِ لا ترفضين، فهذا آخر طلب أرجوكِ، سوف نتحدث قليلا.

أومأت برأسها إيجابا فتهللت أساريره وقال: تفضلي

وأشار إلى السيارة وتقدمها ليفتح لها الباب فابتسمت له ابتسامة خَجِلة وركبت السيارة وأغلق جمال الباب خلفها وانتقل إلى مقعد السائق، وقبل أن يتحرك مد يده إلى المقعد الخلفي وجذب شنطة بلاستيكية وأخرج منها زجاجتان من العصير أعطاها واحدة وتناول هو الآخرى ثم بدأ حديثه قائلا: الجو اليوم حارق فلتخفف هذه من شدته قليلا إلى أن نصل.

تناولت سهام منه الزجاجة وفتحتها وبدأت بالشرب؛ فهي بالفعل عطشةٌ للغاية، ولكن بعد أن انتهت، بدأت عيناها في الثقل ورأسها يدور وقبل حتى أن تستوعب ما يحدث كانت تغطُ في نومٍ عميق. استيقظت سهام فزعة تصرخ وتلتفت حولها، فهي في مكان ولا تعلمُ أين هي.

فوجدت حالها نائمة علي سرير، انتفضت من رقدتها تنظر حولها في حالةٍ هيستيرية من الرعب، وصارت تتلمس جسدها والخوف يملؤها، هدأت قليلا عندما تأكدت أنها بخير ولم يحدث لها شيء.

فبدأت بالتحرك في المكان والبحث عن جمال، هذا الخائنُ الندل، لم تجده، بل لم يكن هناك أحدٌ في هذا المكان، وعندما تأكدَتْ أنهُ غيرُ موجودٍ؛ بدأت في تفحص المكان؛ علها تجد مخرجا، ذهبت في اتجاهِ البابَ وحاولتْ فتحَهُ، ولكن بالطبع كان مغلقا بإحكامٍ شديد، فذهبت إلى أقرب نافذة ولم تفتح هي الآخرى، بالإضافة إلى وجود حديد عليها من الخارج.

اقتربت برأسِهَا نحوَ النافذةِ حتى ترى ما بالخارج , علها تعلم أين هي، نظرت فلم تجد حولها سوى الأشجار، التي تحاوط المكان من كل اتجاه، أشجارٌ عاليةٌ كثيفةُ الأوراقِ لا تَرىَ ما بعدها، فأخذت تحدث نفسها: ما هذا المكان الغريب؟ إنه مثلُ الكوخِ، مصنوعٌ مِنَ الأخشابِ، وما كل هذه الأشجار؟ أهذه غابة؟! تبا لي، ماذا أقول؟! لا توجدُ غاباتٍ في مصرَ، إذًا فأين هذا المكان الغريب؟. أخذت تتنقل بين النوافذ لا شيء غير الشجر الكثيف من جميع الاتجاهات، لكن لفت أنظارها هذه الشجرة قرب الباب معلق عليها مُفتاح غريب الشكل يتدلى من على إحدى الأغصان

ذكرها هيأتهُ بأفلام الرعب الأسطورية، ارتجف جسدها بشدة وتسارعت دقات قلبها.

حاولت أن تُهَدِّئ نفسها من روعها قائلة: ليس هذا وقت الانهيار، عليها أن تجد طريقة للخروج فلنبحث في هذا المكان عن أي شيء يساعدها فالتفتت إلى داخل الكوخ وأسندت ظهرها علي الباب وبدأت تنظر إلى المكان بهدوءٍ وتمعُن.

أمامها مباشرةً كان هناك طاولة خشبية مرتفعة حولها كرسيين من الخشب، وخلفهم مطبخ صغير مفتوح،

به ثلاجة وبوتجاز وحوض ودرفتين على الأرض ومثلهما معلقٌ، اتجهت إليهم تتفحصهم فلم تجد بهم شيئا ينفع، مجرد حلتين وبعض الأكواب والأطباق وكانت الملاعق والسكاكين مصنوعة من البلاستك، تبًا لن تستطيع استخدام السكين في محاولتها لفتح الباب، اتجهت إلى الثلاجة كان بها بعض الطعام والماء والفاكهة اغلقتها.

وذهبت تتفقد باقي المكان، على يمينها تحت النافذة أريكة مودرن لشخصين وكرسي وأمامهما طاولة صغيرة.

وعلى الحائط المقابل مدفأة عتيقة مُعَلَقٌ فوقها رؤوس حيوانات محنطة بشكل مرعب.

بجانب المدفأة كانت الغرفة التي استيقظت فيها، فدخلتها فوجدت سرير صغير لفرد واحد وأمامه دولابٌ خشبي من درفتين، فتحته فوجدت بداخله بعض الملابس الأنثوية ومناشِف ومراشِف ولا يوجد شيء آخر، وعلى الحائط الآخر تراصت ايضا رؤوس حيوانات غريبة، وعلى الأرض وضع حيوانات كاملة محنطة بأشكال مرعبة حقًا سوف تزورها في أحلامها كثيرًا.

خرجت من الغرفة، فكان على يسار المطبخ بابان، فتحت أولهما فكان الحمام، مغطي بأيشاني أزرق باهت اللون كثيرا، وباقي الحائط من فوقه مطلي باللون الازرق، طلائه متساقط ويوجد حمام وحوض صغير وغسالة قديمة الطِراز.

خرجت منه واتجهت إلى آخر بابٍ، حاولت فتحه لكنه كان مغلقا بإحكامٍ ولا يفتح، كررت المحاولة كثيرا لكن بلا فائدة، حتى يأست واتجهت إلى الأريكة وجلست تفكر في حالها وماذا سوف يحدث لها، فلاحظت ورقة صغيرة مطوية وموضوعة على طاولة صغيرة جانبية لم تكن تراها فهي بين الأريكة والكرسي، أسرعت بفتح الورقة وأخذت تنظر بداخلها فلم تجد بها إلا كلمتين

(سوف أعود).

.....

في صباح اليوم التالي استيقظت على صوت صرير الباب وهو يفتح، قامت مسرعة فإذا بجمال يدخل البيت ومعه أكياسٍ كثيرة.

ركضت نحوه فأغلق الباب

فانهالت عليه ضربًا وتهديدًا أن يتركها ترحل وإلا سوف يحدث له ما لا يُحمَدُ عقباه

تركها تضربه وتركله حتى انهارت وغلبتها دموعها، فأخذها وساعدها على الجلوس على أقرب كرسي وجلس أمامها على الأرض، أخذ يهدئها. فنظرت إليه بوهنٍ شديد وقالت: لماذا تفعل بي هذا ؟ لقد وقفت بجانبك وساعدتك، أيكونُ هذا جزائي؟.

جمال: أرجوكِ اهدأي وانصِتي إليَّ، أعلم أنكِ في حالة من الصدمة والخوف مني، ولكن أرجوكِ أن تطمئني سوف أوضح لكِ كل شيء، فقط اهدأي واغسلي وجهك ولتأكلي شيئا ثم نتحدث.

سهام: لا أريد أن آكل شيئا، اشرح لي أولا، لماذا فعلت هذا؟

جمال: إذا كانت هذه رغبتك فلا بأس؛ سوف أشرح لكِ كُل شيء، لكن أولا: أريدك أن تعلمي أنني أحبك،

قالها ومد يده وضم يدها في راحته، فصعقت سهام من الكلمة ومن لمسته التي اقشعر لها بدنها بالكامل، ولكنها استجمعت نفسها وردت عليه.

سهام: تحبني؟!. وهل من يحب أحدا يختطفه؟

جمال: اهدأي وسوف أوضح لكِ كل شيء، لكن ارجوكِ لا تقاطعيني.

أخذت سهام نفسا عميقا وقالت: تفضل لن اقاطعك

جمال: كما قلتُ لكِ أولا أنا أحبك من أول يوم وقعت عليكِ عينايَ فيها في الجامعة، كنت أتابعك أينما ذهبتِ، لكنك لم تلاحظين ذلك إطلاقا

كان وجودُكِ هو حافزي الوحيد للقدوم للجامعة.

حاولتُ كثيرًا أن أتحدث معكِ لكن عندما أراكِ، تهرب مني الكلمات ولا أعلم ماذا أقول؛ كأنني ولدت للتو ولم أتعلم الكلام بعد.

بدأ كلامه يداعب قلبها ويلعب علي أوتار مشاعرها؛ فهذه أولُ مرة يُقَالُ لها مثل هذا الكلام من أحد، بالإضافة إلى أنها بالفعل معجبة به جدًا

إحمرت وجنتيها وأخفضت عيناها باتجاه الأرض، وبدأ ظهور شبه ابتسامة علي جانب فمها، ولكنها كانت تحاول أن تخفيها قبل أن تفضحها.

لكنها بالفعل كانت ظاهرةً وواضحة، فابتسم جمال وأكمل بثقة بعد أن تأكد أن كلماته لامست قلبها وخدرته.

فأكمل جمال: ثانيا أنا لم أخطفك،

هنا رفعت حاجبيها في دهشة وكادت أن تتحدث فاستدرك سريعًا خطأهُ فسارعها ووضع إصبعه على فمها، وأخذ ينظرُ بعمقٍ داخلَ عينيها فغاصت فيهما وسكتت، فأكمل برجاءٍ وحنانٍ قائلا: لقد قلت لكِ ألا تقاطعيني! نعم أنتِ لستِ مخطوفة، وبعد أن أشرح لكِ لماذا فعلت هذا، سيكونُ لكِ مطلقَ الحريةِ في الرحيل

وضغط علي يدها برقةٍ وأكمل: أو البقاء معي، فأنا لم أجد سوى هذه الطريقة حتى أقنعك أن تسمعيني إلى النهاية، فقد خفت إن فُتحت معكِ الحوار في مكان عام أن تتركيني وترحلين، حينها لن أعثر عليكِ إلى الأبد، فنحن لا نعلم عنكِ أي شيء ولا حتى معلومة واحدة؛ تكون بمثابة طوق النجاة إذا رحلتِ أو أستطيع تتبعك من خلالها لأصل لكِ.

ثانيا: فلم يكن أمامي إلا أن يكون حديثنا في مكان لا تستطيعين فيه تركي ولا الرحيل.

سهام: وما هذا الشيء الذي تريد أن تتحدث فيه بهذه الأهمية وتهاب أن أرحل منك؟

تنهد جمال ثم نظر لها فشعر أنها متقبلة لسماعهِ، فابتسم وأكمل حديثه قائلا: أنا أحبك وأريد أن أتزوجك

أحمرت وجنتيها ونظرت إلى الأرض في ارتباك فاتسعت ابتسامته.

جمال: وكنت أشعر أنكِ تبادليني ولو بقدر قليل من الاهتمام، لكن أنا حاليا لا أملك شيئا حتى أتقدم إليكِ، ولنكمل حياتنا سويا؛ خطرت لي فكرة لماذا لا نقدم في مسابقة النحت سويا وبالجائزة نستطيع أن نتزوج ونبدأ حياتنا وبباقي المبلغ نفتحُ مشروعٍ صغير.

لذلك أحضرتك إلى هنا فليس أمامنا إلا شهر واحد فقط على المسابقة.

سهام: وإذا رفضت

جمال بانكسار أخفض ناظريه إلى الأرض: سوف أتركك ترحلين فأنا لن أجبرك على شيء.

تغيرت نظرته فجأة وأصبحت تشع بالحب و الغرام وأكمل: لكني علي يقين من أنكِ سوف تقبلين؛ فليس من الممكن أن أكن لكِ كل هذا الحب وأنتِ لا تبادلينني مثله.

شعرت بالخجل مجددا وبدأ قلبها يخفق بشدة فهي بالفعل تحبه جدا، ولأن الحب قد يسيطر علي العقل ويغيبه في بعض الأوقات، ردت عليه بخجلٍ وقالت: موافقة

تهللت أساريرهُ وأخذ يقفز من السعادة

فأخذت تضحك وهي تنظر إليه إلى أن هدأ.

جمال: نأكل إذًا فأنتِ لم تتناولين شيئا منذ البارحة مع أنني تركت لكِ طعاما في الثلاجة.

.....

جلسوا لتناول الطعام والحديث عن المسابقة والاستعداد لها وفجأة قاطعته سهام مستفسرة

سهام: أين هذا المكان الذي نحن فيه يا جمال؟ كأننا في قلب غابة.

جمال ضاحكا: نحن في واحة مهجورة في الصحراء الغربية وقد اكتشفت هذا المكان بالصدفة.

فقد أُقِيمَ هذا المكانُ للرحلاتٍ والكامباتٍ ويأتي له أفواج كثيرة للتنزه والمبيت يومين في قلب الصحراء، وبنى القائمون عليهِ هذا الكوخ ومن حوله هذه الأشجار الكثيفة؛ كنوع من المغامرة للنزلاء على غرار الأفلام الأجنبية والرحلات التي يقيمونها في الغابات؛ لزيادة متعه المكان وجذب أفواج أكثر ليعيشوا هذه المغامرة، ولكن تأتِ الرياحُ بما لا تشتهِ السفنُ، بعد أن ذاع صيت هذا المكان وكانوا لا يلاحقون على الحجوزات حدثت حادثةٌ ضخمةٌ منذ عامين

ومن وقتها والمكان مهجور ولا يأتِ أحد إلى هنا نهائيا.

سهام: امممم لهذا توجد هذه الحيوانات المحنطة الغريبة التي تملأ المكان.

جمال: لا، هذه الحيوانات أنا من حنطها.

سهام باستغراب: لماذا؟ ما الهدف منها

جمال: امممم أتدرب.

سهام مقبضة حاجبيها: تتدرب على ماذا؟.

جمال مغيرا مجرى الحديث: سوف أخبرك لاحقا، أما الآن فهل تريدين أن تهاتفي عائلتك لتخبرينهم أين أنتِ؟ فنحن سوف نجلس هنا الشهر القادم بأكمله، وقد أحضرت ما يكفينا من طعام وشراب؛ لأننا نبعد خمسمائه كيلو عن أقرب أي شيء لنا.

صمتت سهام وبدى الحزن في عينيها وقالت: ليس لدي أحد.

جمال مستغربا: وكيف هذا؟

تنهدت سهام: سوف أخبرك، حان الوقت أخيرا أن أخبر أحدا.

نظرت إليه بحب وأكملت: أنت أول شخص أخبره بما سأقول، منذُ أتيتُ إلى هذه الدنيا لم أجد أحدا غير أمي، أنا ليس لي غير أمي فقط، لا يوجد لدي أهلٌ غيرها.

وكنا نتنقل من منزل لمنزل، لم نستقر في منزل أكثر من عام

دائما تختار العمائر التي لم تسكن بعد وليس لها بواب وفي شوارع هادئة لا يوجد بها محال وحينما يبدأ المكان بالعمار؛ نتركه وننتقل لغيره، ليس مسموحا لي بإخبارِ أحدٍ عن عنواننا أو رقم هاتفي الذي لا يعلم رقمه سواها، ولا صفحتي علي الفيس بوك التي بالمناسبة ليست باسمي.

وعندما كنت أسألها لماذا كل هذا الغموض؟ لماذا لسنا مثل باقي البشر؟ لماذا ليس لنا أهل وأقارب؟ أين أبي؟ كانت تقاطعني دائما وترفض الإجابة، بل كانت تشدد على عدم إخباري لأحد عن أي معلومة عنا حتى استسلمت للأمر الواقع واعتدته، ومنذ سنة توفيت وتركتني وحيدة، فأنا ليس لي أحدٌ ولا أحدٌ يعرفني، عشت حياتي كالأشباح، يهابني الجميع ويتجنبون صداقتي.

قالت هذا وفرت دمعة من عينيها

فنظر إليها جمال متأثرا بحديثها، وفي عينيه أقصى معانٍ التفهم والاحتواء والأسى على حالها.

ثم بدأ في حديثه قائلا: الآن أصبح لديكِ أحد ثم ضمها

وظهرت على شفتيه ابتسامة ماكرة وهو يقول في عقله: إنني أعلم كل ذلك عنكِ ولهذا السبب تحديدا أخترتك لي.

شعرت سهام بالسعادة بسبب كلماته

وفي داخلها تقول: هل حان الوقت ليصبح لي أحد؟ ويسمح لي بإخبارِ الجميع بأن لي حبيبٌ ومنزلٌ وأطفالٌ وأعيشُ حياةً طبيعية؟.

حاولت أن تتمالك نفسها وتخرج من حضنه الذي طال فسألته: اروي لي أنت أيضا فأنا لا أعلم شيئا عنك أنا الآخرى

جمال: أنا أختلف عنكِ كثيرا، فقد كنتُ أعيشُ بالفعلِ ضمن أسرتي، أب وأم وأخ أصغر، ولكنني كنتُ وحيدا طيلة حياتي، في المنزل في المدرسة في الجامعة دائما ما كنتُ وحيدا، لا أصدقاء ولا ونس الجميع من الصغير للكبير ينعتوني بالفاشل.

ولم يتمالك أعصابهُ عند هذه الكلمة فأمسك برأسه بين يديه وبدأ فيضان من الذكريات المؤلمة تهجم عليه

أمه: أنت فاشل لا تستطيع أن تفعل أي شيء بمفردك.

والده: أنت فاشل أنظر إلى أقرانك جميعهم ناجحون إلا أنت فاشل

حتى أخوه الصغير يتهكم عليه دائما ويقول: أيها الفاشل

أصدقائه: أنت فاشل لا نريدك معنا.

فاشل فاشل

الأحداث والمشاهد تتلاحق في رأسه متسارعة تنهشه، يراها كالفيلم وكأنها تحدث الآن تهكمهم واستهزائهم به وذلهم له.

حتى تذكر ذلك اليوم الذي قرر أن ينهِ فيه معاناته، وأحضر سُما كي ينتحر وفي آخر لحظه قرر أن يبدل الخطة قائلا في نفسه ليس أنا من عليه أن يموت إنما هم، من أذوني وحقروني لم يعطوني حبا أو حنانا أو تعاطفا من أي نوع.

فلعب الشيطان براسه واتجه إلى المطبخ ودس السم في الطعام وخرج من المنزل مسرعا دون أن يراه أحد.أخذ يصرخ فجأة وهو يتعرق وينهج، سهام ربطت علي كتفيه لتهدئته وهي في غاية الرعب عليه.كان لا يرد عليها، فأخذت تصرخ فيه ليفيق:

ماذا بك يا جمال ماذا بك؟

أفاق من أفكاره قائلا: لا شيء، فقط لقد تذكرت اليوم الذي تركوني فيه، كنت بالجامعة وعندما عدت وجدتهم جميعا قد فارقوا الحياة بسبب وجبة سمك مسممة.

شهقت سهام واضعة يدها على فمها: جميعهم؟!

تَصَنَعَ الآسى والضعفَ وقال: نعم جميعهم، لو لم أتأخر وعدت باكراً في ذلك اليوم لأصبحت معهم حينها كنت سأرتاح مما أنا فيه الآن.

احتضنته سهام: هون عليك يا جمال هذا قدرهم وأعمارهم أعلم أنها صدمة قوية لكنك أقوي منها

جمال: أسف إن أزعجتك بحديثي

سهام: إطلاقا

جمال: الآن ليس لنا إلا بعضنا البعض

ابتسمت بخجل

جمال: لابد أن نفوز بالمسابقة حتي نبقى سويا إلى آخر العمر

سهام: إن شاء الله سوف أبذل قصارى جهدي في مساعدتك.

جمال مُقَّبِلا يدها: لا تشغلي بالك حبيبتي، أنتِ فقط لكِ اللمساتُ الأخيرة.

سهام: ماذا سوف نقدم

جمال: إنها مسابقة تمثالٍ بالحجم الطبيعي

سهام رافعة حاجبيها بدهشة: بالحجم الطبيعي؟! إذًا فإننا لدينا عمل كثير كي ننجزه

جمال: لا تقلقي لقد استعددت لكل شيء وقدمتُ في المسابقة بأسمائنا كلانا، وستقفين علي المسرح قبلي.سهام: قبلك؟! لا، سوف نقف سويا

جمال: لا، أعدُك أنكِ سوف تكونين هناك قبليونظر إليها نظرةً كلها شوق وحب أشعرتها نظراته بالخجل

.....

مرت الأيامُ سريعا وكان جمال يختفي بالساعات داخل الغرفة المغلقة ولا يسمح لسهام بدخولها مطلقا،

لم يتبقَ إلا أسبوعٌ واحد فقط علي المسابقة أخذت تدق علي الباب بعصبية وهي تُنادي عليه

سهام: جمال، جمال افتح الباب الآن

فتح جمال الباب وخرج اليها

جمال: ما بكِ يا سهام لما هذه العصبية؟

سهام: لأنني لا أعلم ماذا تفعل، ولم يتبقَ إلا أسبوعٌ واحد، وحتى الآن لم تسمح لي بمشاركتك في النحت وليس لدينا وقت.

جمال: قلت لكِ أن عليكِ اللمساتُ الأخيرة.

سهام: جمال أنت تعلم أنه حتى نكسب هذه المسابقة؛ لابد أن أعمل علي التمثال كثيرا وليس فقط اللمسات الأخيرة.

رفع حاجبيه ونظر إليها بحدية: أتتهمينني بأنني لا أستطيع أن أصنع تمثالا؟!

شعرت أنها أحرجته فأسرعت بالرد وقالت: لا، ليس هذا ما قصدت ولكن النحت يحتاج إلى الكثير من الوقت ولا أريد أن ينفذ الوقت مِنا وأنا أجلس هنا لا أفعل أي شيء، منذ أن جئت.

جمال بابتسامة: لا تقلقي حبيبتي فهو بالفعل حان دورك بعد الغذاء سوف ندخل لتضعي لمستك النهائية

أشرق وجهها بالفرح والسعادة

سهام: حقًا! إذًا هيا بنا نتناولُ الغداء الآن

ضحك جمال ضحكة عالية

جمال: الان الساعة ما زالت الواحدة ظهرا

ضحكت وردت عليه بعناد طفولي واضعه يدها علي خصرها

سهام: نعم الآن.

جمال منحني في حركةٍ مسرحية : لكِ ذلك سيدتي هيا بنا.

.....

اليوم هو الأول من أغسطس موعد المسابقة، وقف جمال قلقا منتظرا رأي الحكام في تمثاله والتوتر بلغ أقصاه

وحانت اللحظة الحاسمة، لحظةُ إعلان اسم الفائز

صعد المقدم علي المسرح وتم إحضار التمثال الفائز لكنه مُغطى

حانت اللحظة الحاسمة وحبس الجميع انفاسه في انتظار اسم الفائز

المقدم: الفائز بجائزة افضل نحات وأجمل تمثال تذهب إلى الأستاذ/ سهام نور الدين

ومع نطق الاسم كان يرفع الستار عن التمثال، شهق الجميع من جمال وإتقان التمثال وصفق الحضورُ بشدة. نهض جمال فتح الله من كرسيه متجها نحو المسرح يصعد السلالم وكل الأضواء والكاميرات مسلطة عليه، وقف في منتصف المسرح بعد أن صافح المقدم وانحنى قليلا ليحي الجمهور المنبهر بالتحفة الفنية التي أمامهم.

فهو تمثالٌ في غايةِ الروعة لفتاة جميلة تفاصيله دقيقة بشكل مبهر لا يوصف بالكلمات، ولولا أنه شركٌ بالله لكان كل ما بقي لهذا التمثال فقط أن يُبَثَ فيه الروح.

تقدم جمال نحو الحكام كي يستلم جائزة أفضل نحات وشيك المسابقة، أخذت الكاميرات كلها تصوره

رفع الجائزة عاليا وتقدم حتى وقف بجانب التمثال لف يده حول خصر التمثال ليؤخذ الصور لهم معًا

ثم نظر إلى التمثال بفخر ومن بعدها اقترب بفمه نحو آذن التمثال وهمس

ألم أعدك بأنكِ سوف تكونين قبلي على المسرح

ومن بعدها رفع وجهه ونظر إلى التمثال وابتسم

تمت بحمد الله